Majallah Al-Qism Al-Arabi
University of the Punjab,
Lahore - Pakistan.
No.28, Issue: 2021

مجلة القسم العربي
جامعة بنجاب، لاهور– باكستان.
العدد الثامن والعشرون، 2021م.

ملامح السجن في شعر أبي فراس الحمداني وفيض أحمد فيض (دراسة وتحليل)

Prison Features in the Poetry of Abu Feras Al-Hamdani and Faiz Ahmad Faiz (Analytical Study)

راحت رؤف
رئيسة القسم العربي بجامعة كلية لاهور للنساء،
لاهور

Abstract

Comparative literature is considered as a modern and important academic field in the world of research. This article followed the comparative methodology dealing with the poetry of two poets of different languages e.g. Arabic and Urdu. It analyzed the poetry of Abu Feras Al- Hamadani and Faiz Ahmad Faiz in prison. Both spent a long time in prisons and jails. Prison and hardships have polished their words and have made their meanings more impressive and sorrowful, which reflects in the topics of their poetry, such as: imprisonment hardships, patriotism, failure, oldness, complaint, pleasure, sorrow, praise and hope. This article discussed the common and different aspects of their poetry in the light of topics and themes.

Key Words: Comparative Literature, Modern Poetry, Arabic poet, Urdu poet.

تمهيد

أبو فراس الحمداني وفيض أحمد فيض كلاهما من الشعراء الذين عانوا تجربة السجن ففاضت قرائحهم شعرا ثائراً أبياً ناطقاً بروح المقاومة وإرادة الحياة، فوضعوا في ذلك المقاربات والمقارنات، ولديهم الآمال الكبيرة بالخلاص والحرية، وحالت قضبان السجن بينهم وبين أحبائهم، فراحوا يناجون أبناءهم الصغار وأزوجهم وخلانهم في ظلامها الحالك، وعيشها المنكود.

هذه الدراسة مقارنة بين الشاعرين للغتين الرائدين، للغتين من أهم اللغات الإسلامية. أحب مطالعة الأدب المقارن ودراسته، لأنه مجال جديد بالغ الأهمية. ولأنني مولع باللغتين: العربية والأردية. فاللغة العربية لغة ثرية واسعة من حيث عدد الناقطين بها، وثرائها بكثرة المفردات، والدقة في مفاهيمها ومعانيها، وحسبها أنها لغة كلام الله العزيز الخالد الذي نزله على رسوله مُحَمَّد – عليه الصلاة والسلام — ولغة مصادرنا الإسلامية، كما أن اللغة الأردية على حداثة سنها. تعد من أكثر اللغات انتشاراً في العالم، فهناك ما يزيد على خمس مائة مليون نسمة يتحدثون بالأردية ويتفاهمون بها داخل شبه القارة وخارجها.

وفي الصفحات التالية من بحثنا حول الموضوع "شعر السجن عند أبي فراس الحمداني وفيض أحمد فيض (دراسة مقارنة)"، نذكر مفهوم السجن أولا، ثم ترجمة أبي فراس الحمداني وفيض أحمد فيض، والسجن عند الشاعرين، ثم نقدم المقارنة بين شعر أبي فراس وفيض أحمد فيض في نظم شعرهما السجن.

مفهوم السجن

جاءت مادة "س.ج.ن" في المعاجم العربية بمشتقاتها المختلفة واستعمالاتها ذات الدلالات المتعددة منها: السجن الذي اقترن في جلها بكلمة "الحبس" وسائر مشتقاتها نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر "سجن وهو الحبس"[1] سجنه يسجنه سجنًا: حبسه...يثبت المضروب محلّه ويحبسه"[2] والسجن بالكسر المحبس.[3]

ونجد في أدباء خلف القضبان:

"فالسجنيات أو شعر السجن هي تلك القصائد التي كتبها أصحابها خلف القضبان. وقد تجاوز البعض في العصر الحديث، واستخدم مصطلح السجنيات لكل أدب يكتب داخل السجون سواء كان قصة أم رواية أم نصاً أدبياً يصور معاناة صاحبه وأشواقه وصراعات جوانحه"[4]

فالسجن تجربة ثرية لمن ابتلي بها من الشعراء والكتاب على مر العصور، والشعر العربي زاخر بآيات من الفن في هذا الباب، لشعراء وكتاب عانوا تجربة السجن أو الأسر؛ ففاضت قرائحهم شعرا ثائراً أبياً ناطقاً بروح المقاومة وإرادة الحياة، وعالج آخرون تلك التجربة علي أنها محنة ستنتهي؛ كما تنتهي كل المحن ومثلما تنتهي الحياة، فوضعوا في ذلك المقاربات والمقارنات، ولديهم الآمال الكبيرة بالخلاص والحرية، ومنهم من روعته السجون والقيود، وحالت بينه وبين أحبائه، فراح يناجي أبناءه الصغار وزوجه وخلانه في ظلامها الحالك، وعيشها المنكود.

ترجمة أبي فراس الحمداني وفيض أحمد فيض

نعرض في هذه المقالة على التعرف إلى أصداء محنة السجن، في أشعار علمين من أعلام الشعر العربي والأردي، وهما: أبو فراس الحمداني و فيض أحمد فيض.

أبو فراس الحمداني

أبو فراس الحمداني فهو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني التغلبي الوائلي،(320– 357هـ/932–968م). هو شاعر من قبيلة الحمدانيين، وهي قبيلة عربية حكمت شمال سوريا والعراق وكانت عاصمتهم حلب في القرن العاشر للميلاد.

كان ظهور الحمدانيين في فترة ضعف العنصر العربي في جسم الخلافة العباسية وهزيمة الفرس والترك. فباشر الحمدانيون الحروب لدعم حكمهم وترسيخ سلطتهم، فاحتل عبد الله، والد سيف الدولة الحمداني وعم شاعرنا، بلاد الموصل

وبسط سلطة بني حمدان على شمال سوريا بما فيها عاصمة الشمال حلب وما حولها وتملك سيف الدولة حمص ثم حلب حيث أنشأ بلاطاً جمع فيه الكتاب والشعراء واللغويين في دولة عاصمتها حلب.

ترعرع أبو فراس في كنف ابن عمه سيف الدولة في حلب، بعد موت والده باكراً، فشب فارساً شاعراً، وراح يدافع عن إمارة ابن عمه ضد هجمات الروم ويحارب الدمستق قائدهم وفي أوقات السلم كان يشارك في مجالس الأدب فيذاكر الشعراء وينافسهم، ثم ولاه سيف الدولة مقاطعة منبج فأحسن حكمها والذود عنها.

كانت المواجهات والحروب كثيرة بين الحمدانيين والروم في أيام أبي فراس، وفي إحدى المعارك خانه الحظ يوماً فوقع أسيراً سنة 347هـ (959م) في مكانٍ يُعرف باسم "مغارة الكحل". فحمله الروم إلى منطقة تسمى خَرْشَنة على الفرات، وكان فيها للروم حصنٌ منيع، ولم يمكث في الأسر طويلاً، واختُلف في كيفية نجاته، فمنهم من قال إن سيف الدولة افتداه ومنهم من قال إنه استطاع الهرب، فابن خلكان يروي أن الشاعر ركب جواده وأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات، والأرجح أنه أمضى في الأسر ثلاث سنوات.

انتصر الحمدانيون أكثر من مرة في معارك كرٍ وفرٍ، وبعد توقف لفترة من الزمن عاد القتال بينهم (بين الحمدانين وبين الروم) الذين أعدوا جيشاً كبيراً وحاصروا أبا فراس في منبج وبعد مواجهات وجولات كر وفر سقطت قلعته سنة 350هـ (962م) ووقع أسيراً وحُمل إلى القسطنطينية حيث أقام نحواً من أربع سنوات، وقد وجه الشاعر جملة رسائل إلى ابن عمه في حلب، فيها يتذمر من طول الأسر وقسوته، ويلومه على المماطلة في افتدائه.

ويبدو أن إمارة حلب كانت في تلك الحقبة تمر بمرحلةٍ صعبة لفترة مؤقتة فقد قويت شوكة الروم وتقدم جيشهم الضخم بقيادة نقفور فاكتسح الإمارة واقتحم عاصمتها حلب، فتراجع سيف الدولة إلى ميافارقين، واعاد سيف الدولة

قوته ترتيب وتجهيز وهاجم الروم في سنة 354هـ (966م) وهزمهم وانتصر عليهم واستعاد إمارته وملكه في حلب، واسر اعدادا يسيرة من الروم وأسرع إلى افتداء أسراه ومنهم ابن عمه أبو فراس الحمداني بعد انتصاره على الروم، ولم يكن أبو فراسٍ يتبلغ أخبار ابن عمه، فكان يتذمر من نسيانه له، ويشكو الدهر ويرسل القصائد المليئة بمشاعر الألم والحنين إلى الوطن، فتتلقاها أمه باللوعة حتى توفيت قبل عودة وحيدها.

تم افتداء وتحرير أبي فراس وبعد مضي سنةٍ على خروجه من الأسر، توفي سيف الدولة 355هـ (967م) وكان لسيف الدولة مولى اسمه قرغويه طمع في التسلط، فنادى بابن سيده أبي المعالي، أميراً على حلب آملاً أن يبسط يده باسم أميره على الإمارة بأسرها، وأبو المعالي هو ابن أخت أبي فراس. أدرك أبو فراسٍ نوايا قرغويه فدخل مدينة حمص، فأوفد أبو المعالي جيشاً بقيادة قرغويه، فدارت معركةٌ قُتل فيها أبو فراس. وكان ذلك في ربيع الأول سنة 357هـ (968م) في بلدة صدد جنوب شرق حمص.

فيض أحمد فيض

وأما فيض أحمد فيض فهو أديب وشاعر باكستاني، كان مُفكرا يساريا وشاعرا ثوريا، ويعتبر من أهم الشعراء اللذين كتبوا الشعر باللغة الأردية. ولد في عام 1911 في سيالكوت في إقليم البنجاب عندما كان جزءا من الهند تحت الحكم البريطاني. حصل على ماجستير في الأدب الإنجليزي وماجستير آخر في الأدب العربي وانضم الى الحركة اليسارية وخدم في الجيش الهندي خلال الحرب العالمية، وترك الجيش برتبة عقيد عام1947 وعند تقسيم الهند اختار العيش في باكستان حيث عمل محرراً صحافياً. وقد اتهم بالمساعدة على محاولة انقلابية وحكم عليه بالإعدام الذي لم ينفذ ولكنه قضى عدة سنوات في السجن. كما عاش فترة في المنافي في الاتحاد السوفييتي وبريطانيا ولبنان ومنح جائزة لينين للسلام عام ،1962م وعاد الى باكستان وعين رئيساً لمجلس الآداب الوطني. توفي في لاهور عام 1984م

ويعد من كبار شعراء اللغة الأوردية.

نال فيض أحمد فيض عدة جوائز شعرية كما تم ترشيحه لجائزة نوبل، وفي عام 1963م كان أول شاعر آسيوي يحصل على جائزة لينين للسلام.

من دواوينه: كف الصبا، يوميات سجين، وادي سيناء، وقد صدرت أعماله الشعرية الكاملة بعنوان "وصفات الوفاء".

ويتميز شعر فيض بتنوع موضوعاته فلقد تناول استغلال الأغنياء للفقراء، والاحتكار غير المشروع للطبقة الرأسمالية، كما انتقد مساوئ الصراع الطبقي الاجتماعي. ولم يكن شعره فقط ذا أثر على أبناء وطنه بل نال أهمية واسعة عند أصحاب اللغات الأخرى، مما أدى إلى ترجمة أعماله إلى اللغة الإنجليزية ولغات أخرى عديدة.

شعر السجن عند أبي فراس الحمداني وفيض أحمد فيض

وفي جانب شعر السجن، نجد أن السجن قد أثر في كل من هذين الشاعرين على نحو ملحوظ، فظهرت موضوعات تناسب المحنة، وتعبر عن عمق المعاناة، من تبين أثر السجن في تميز كل شاعر منهما، على مستوى الموضوعات، وعلى المستوى الفني من جهة أخرى.

شعر السجن عند أبي فراس الحمداني

شعر السجن عند أبي فراس الحمداني، وهو ما اصطلح على تسميته بالروميات، التي تعتبر لباب شعره، وصفوة إنتاجه، وهي "القصائد والمقطعات التي نظمها أبو فراس، وهو أسير في بلاد الروم، يقاسي مرارة القيد، ومرارة البعد عن الأحباب والأصدقاء، ويتحمل ألوان العذاب في جسمه، وفي نفسه، مدة أربع من السنين، إن لم نقل أكثر"[5]

ولم يكن أبو فراس يتوقع ـ في بداية الأسر ـ أن يطول سجنه ليبلغ هذه الفترة، بل لم نكن نحن نتوقع ذلك؛ فقرابته من سيف الدولة قوية، وعلاقته به حميمة فهو ابن عمه، وهو ربيبه كأبنائه، وساعده الأيمن في توطيد دعائم ملكه.[6]

لكن الرياح جرت بما لا يشتهي أبو فراس، الذي أمضى فترته المذكورة في أسر الروم، يقاسي آلاماً جسمية ونفسية، على ما سيتم تفصيله لاحقاً. ومما زاد من عمق المأساة، أمله بالخروج من السجن، ذلك الأمل القريب البعيد، الذي كان يراوده يومياً، ويتراوح هذا الأمل صعوداً وهبوطاً، ملقياً بظلاله على معنويات الشاعر الأسير، ونفسيته؛ فلم تكن نفسية الشاعر واحدة موحدة طوال فترة الأسر؛ بل نجد تفاؤلاً حيناً، وتشاؤماً أحياناً أخرى، وقد ظهر ذلك بجلاء في شعر الشاعر؛ إذ كانت روملياته "صدى نفسه المعذبة القلقة"[7]

كان الحمداني شاعرا كبيرا ونظم الشعر في جميع الأغراض الشعرية كالشكوى، والحنين، والفخر، والعتاب، والمدح، والهجاء، والاستعطاف، والرثاء، والتعزية، والتأمل، وإظهار التصبر والجلد.

فنذكر هذه الموضوعات على النحو الآتي:

1. العتاب، ويرتبط به المدح والاستعطاف.
2. الفخر، ويشمل الفخر بالنفس، والفخر بالنسب وببني عمه الحمدانيين.
3. الشكوى، وهي شكوى من الأسر، وشكوى من القيد، وشكوى من الدهر، وشكوى من الشامتين والحساد وهجاء لهم، ويرتبط بالشكوى إظهار التجلد والتصبر.
4. الرثاء، وترتبط به التعزية.
5. الحنين، وهو حنين إلى الأم، وحنين إلى الأهل، وحنين إلى الأخ، وحنين إلى الديار.
6. الحكمة والتأمل.

وهنا نقدم أمثلة من شعر أبي الفراس الحمداني في السجن:

قناتي على ما تعلمان شديدة وعودي على ما تعلمان، صليب
صبور على طي الزمان ونشره وإن ظهرت للدهر في ندوب

وإن فتى لم يكسر الأسر قلبه وخوض المنايا جده لنجيب[8]

في الفخر الفردي، نجد الشاعر يفتخر بنفسه، وما اشتملت عليه من جوانب العظمة والتفوق. فقد نجد الشاعر يفتخر بقوته، وبصبره على ما أصابه، ومن ذلك، ما بعث به إلى غلاميه، من الطويل.

ويقول أيضا:

أسرت وما صحبي بعزل، لدى الوغى ولا فرسي مهر، ولا ربه غمر!
ولكن إذا حم القضاء على أمرئ فليس له بر يقيه ولا بحر! [9]

وهكذا، كان أبو فراس يعتقد " أنه لم يقصر في واجبٍ أُلقيَ على عاتقه، بل لقد كان يستعرض ماضيه كله، فلا يجد ما يشين اسمه، أو يغض من قيمته، فإذا خطر بباله أنه ربما مات في الأسر، هوَّن عليه، استقبالَ الموتِ، ما كان يخالجه من الإيمان بأنه خلَّف، وراءه، ذكراً طيباً"[10]

ويقول:

فلو أن أسري بين عيش نعمته حملت لذلك الشهد ذا السم منقعا
ولكن أصاب الجرح جسما مجرحا وصادف هذا الصدع قلبا مصدعا[11]

نعم، تلك هموم الشاعر ومصائبه؛ غربة، وسجن، وحسد أقارب، وكيد أعداء. ولو حاول الشاعر الصبر، ما وجد إلى ذلك سبيلاً. ويأسى الشاعر على مصائبه هذه، ويشكو منها في شعره.

وكان أبو فراس شاعر مشهور ومعروف، نظم القصائد قبل أسره وخلاله، وقد تنوعت الموضوعات التي طرقها في شعره.

ويتضح لنا من خلال دراستنا للديوان، ومن خلال الاطلاع على ما كتبه الباحثون حول الشاعر، أن الروميات كانت أهم أشعار أبي فراس، وبفضلها نال الشاعر مكانته الأدبية على مرِّ العصور، من دون الغض من شأن أشعاره قبل الأسر.

ويرى بطرس البستاني أن "الروميات تشتمل على أجمل المزايا التي تحلّى بها أبو فراس؛ ففيها عزَّةُ نفسه وإباؤه، وجرأته وشجاعته، وفيها حبه لوالدته، وحنينه إلى صبيته ووطنه، وفيها صبره وجلده"[12]

ولعل السبب وراء كون الروميات خير أشعار أبي فراس؛ هو العاطفة القوية والجارفة التي تغلب على الروميات، على نحو انتفت معه الصنعة، تلك الصنعة التي طغت على أشعار أبي فراس قبل أسره في العديد من موضوعاته الشعرية، وهذا ما دفع باحثاً كشوقي ضيف، إلى أن يقررَ بأن خير أشعار أبي فراس، تلك "التي نظمها في أسره، والتي كان يرسل بها إلى سيف الدولة، معاتباً لتقاعسه عن فدائه، وهي تكتظ بالحنين إلى الأهل، والشكوى من الدهر والرفاق، ومن روائعها قصيدته التي يخاطب فيها أمه، والأخرى التي يرثيها بها رثاءً حاراً. وهو بارع في تصوير أحاسيسه ومشاعره، سواء تحدث إلى ابن عمه وهو في أسره، أو خاطب حمامة تنوح."[13]

وعلّل أحمد أمين أهمية الروميات ومكانتها الرفيعة من شعر أبي فراس، بقوله: "وإنما كان أحسن شعره؛ لأن وقوعه في الأسر، وبعده عن وطنه، أهاج شاعريته، ورقق عاطفته؛ فامتلأ شعره برقة الحنين، وحلاوة الحب، وذل الأسر".[14]

وما دام الأمر كذلك، فما الجديد في الروميات؟ وما أثر الأسر والمعاناة في شعر أبي فراس؟ يتضح لنا أن الأسر، وما نتج عنه من آلام نفسية وجسدية، قد ترك أثراً في نفس أبي فراس، انعكس بالتالي على نتاج الشاعر الأدبي؛ إذ إن الأسر قد أهاج عاطفة الشاعر، ودفعه إلى نظم القصائد الوجدانية، الصادرة عن قلب كليم. والظاهر أن أبا فراس كان " يتألم لأدنى معاملة جافية، وينطلق إثر الذكريات، فيضيق صدره، وتغرورق عيناه كلما تمثل عيشة الماضي، ويرسل زفرات قصائد، يتمثل فيها الصراع الناشب بين عاطفتي القوة واللين."[15]

شعر السجن عند فيض أحمد فيض

أما فيض أحمد فيض وله قصائد رقراقة في السجن، ومن المعلوم كان مختصصا باللغة العربية فمن المؤكد أنه كان استطلع على الأدب العربي عامة والشعر العربي خاصة. ولعله هو استفاد في شعره من الشعر العربي وجاء بفكريات عربية في شعره الأردي.

ويقول فيض أحمد فيض عن تجربته في السجن: "السجن تجربة أساسية كالعشق يفتح على السجن باب الفكر والتفكر. فتحد الحسيات كعالم الشباب ويعود التحير المتعلق بنور الفجر وظلمة المساء وخضرة السماء ولمس الرياح مرة أخرى كما كان من قبل. ثم يبطل العالم الخارجي بوقته وبعده. يبعد القريب ويقرب البعيد حتى يدرك المسجون ساعة من الوقت كأنها يوم القيامة في حين، وفي حين آخر يشعر قرنا كأنه قصة الغد. ثم يجد المسجون وقتا كافيا لتزيين عروسه الأدبي بالفكر والمطالعة. [16]

أنشد فيض أحمد في قصائد مشهورة وأبيات رائعة في زمن سجنه، منها أبياته هذه التي اشتهرت في الآفاق:

متاعِ لوح وقلم چھن گئی تو کیا غم ہے
کہ خونِ دل میں ڈبولی ہیں انگلیاں ہم نے
زباں پہ مہر لگی ہے تو کیا کہ رکھ دی ہے
ہر ایک حلقۂ زنجیر میں زباں ہم نے[17]

ترجمة للأبيات في العربية:

"لا حزن على فقدان القلم والورق
فقد انغمست أصابعنا في دماء قلوبنا
لا ينفعهم الختم على ألسنتا فإننا
خلقنا لسانا في كل حلقات السلاسل"

أنشد فيض قصيدته المشهورة بعنوان "نحن الذي قتلوا في الطرق المظلمة"

أثناء حبسه في سجن منتغمري سنة 1954م ويبدأ فيها مخاطبا للوطن:

تیرے ہونٹوں کے پھولوں کی چاہت میں ہم　　دار کی خشک ٹہنی پہ وارے گئے
تیرے ہاتھوں کی شمعوں کی حسرت میں ہم　　نیم تاریک راتوں میں مارے گئے18

ترجمة الأبيات في العربية:

في طلب أزهار شفتيك　　صلبنا على الخشب اليابس
في حسرة شمعات كلامك　　قُتلنا في الليالي المظلمة

واختتم هذه القصيدة الباهرة الرقراقة بقوله:

قتل گاہوں سے چن کر ہمارے علم　　اور نکلیں گے عشاق کے قافلے
جن کی راہِ طلب سے ہمارے قدم　　مختصر کر چلے درد کے فاصلے
کر چلے جن کی خاطر جہاں گیر ہم　　جاں گنوا کر تری دلبری کا بھرم
ہم جو تاریک راہوں میں مارے گئے[19]

ترجمة الأبيات في العربية:

"سوف يخرج قوافل العشاق من المقاتل حاملين راياتنا
فقد قطعت أقدامنا منازل الألم والكرب من طرقهم
فدينا نفوسنا لصيانة احتشامك وتشهيره
نحن الذين قتلوا في الطرق المظلمة"

وله قصيدة شهيرة أنشدها في السجن:

گلوں میں رنگ بھرے بادِ نو بہار چلے　　چلے بھی آؤ کہ گلشن کا کاروبار چلے
قفس اداس ہے یارو صبا سے کچھ تو کہو　　کہیں تو بہرِ خدا آج ذکرِ یار چلے
جو ہم پہ گزری سو گزری مگر شبِ ہجراں　　ہمارے اشک تری عاقبت سنوار چلے
مقام، فیض، کوئی راہ میں جچا ہی نہیں　　جو کوئے یار سے نکلے تو سوئے دار چلے[20]

ترجمة الأبيات في العربية:

"تعال! لتتزين الحديقة وتتلون الأزهار وتهب نسيم الربيع
السجن مغموم أيها الأحباء فأقسموا الصبا أن يذكر الحبيب

صبرنا يا ليل الفراق ولكن دموعنا قلدت عاقتبك وساما
يا فيض! لانعجب أي طريق غير الطريق المخطر
خرجنا من مكان الحبيب وارتحلنا إلى طريق الموت"

وأظهر فيض ألمه الذي واجهه في السجن بقوله في قصيدته الرقراقة:

یہ غم جو اس رات نے دیا ہے یہ غم سحر کا یقیں بنا ہے
یقین جو غم سے کریم تر ہے سحر جو شب سے عظیم تر ہے[21]

ترجمة الأبيات في العربية:

"الحزن الذي وهبنا هذا الليل صار لنا يقين السحر
هذا اليقين أروع من الحزن وهذا السحر أعظم من الليل"

المقارنة بين شعر أبي فراس وفيض أحمد فيض

نشأ الشاعران في بلادين مختلفين وتعلما في بيئة متابينة فيمكن أن تختلف الشاعران في أبياتهما حسب الفكرة والخيال والموضوع ومن بعض الجهات، فنحن نركز في هذه المقارنة شعرهما الذي يتعلق عن السجن خاصة.

فقضى الشاعران أبو فراس الحمداني وفيض أحمد فيض سنوات طويلة من حياتهما في السجن، بعيدين عن الديار والأهل. إنّ الظروف التي عاشها الشاعران في هذه الأيام والسنوات ساقتهما إلى إنشاد الأشعار التي تعبّر عن عواطفهما وأفكارهما تجاه أحداث الحياة والمجتمع.

تمتاز هذه الأشعار بالميزات الفنية التي جعلتها نوعاً خاصّاً من الأدب. وهذه الميزات تنبع من الخصال الذاتيه التي يتسم بها الشاعران قبل الحبس ما تنبع من الظروف الصعبة المدهشة التي واجهها الشاعران في الحبس.

كانت روميات الشاعر الأسير إبي فراس الحمداني، مرآة تعكس جوانب مخفية من مختلف جوانبها، كما تعكس عواطف الشاعر، وما يتنازع، في قلبه، من عواطف شتى، وتيارات متصارعة. وقد نجح الشاعر في نقل عواطفه إلينا بصدق وأمانة، يندر وجودها في شعر غيره من الشعراء ، بل في شعره، هو، قبل الأسر

وبالنظر في موضوعات شعر أبي فراس في الأسر، نجد تنوعاً فيها؛ فهي تشمل موضوعات: الشكوى، والحنين، والفخر، والعتاب، والمدح، والهجاء، والاستعطاف، والرثاء، والتعزية، والتأمل، وإظهار التصبر والجلد. ولكن الشاعر، لم يعالج هذه الموضوعات بطريقة واحدة، ولم يطرقها بالمستوى نفسه، وإنما كان الشاعر يطرق الموضوع، على قدر الحاجة، ويعالجه بحسب طبيعته.

ومن خلال دراسة هذه الموضوعات جميعاً، نجد أن هذه الموضوعات يمكن تصنيفها في فئتين: فئة تشمل الموضوعات التي طرقها أبو فراس لذاتها، وفئة تشمل الموضوعات التي طرقها الشاعر، خدمة لموضوعات الفئة الأولى.

فإن موضوعات العتاب، والفخر، والشكوى، والرثاء، والحنين، والتأمل؛ فهي موضوعات طرقها أبو فراس لذاتها؛ لما تحققه من حاجات شعورية عنده. أما ما يرتبط بهذه الموضوعات، وما يندرج تحتها من تفصيلات، فهي وسائل لتحقيق هذه الموضوعات الرئيسة.

قد كان لأسره أثر بالغ إيجابي علي شعره وأدبه، فرقّ شعره في الأسر وزاد فيه كالأسي، والنوح، والعذاب والحزن.

وأما عن فيض أحمد فيض فهو لا يختلف عن أبي فراس الحمداني في كثير، فإن السجون لاتزال متحدة في الأحوال والظروف مع أن بين الشاعرين أكثر من قرن كامل. فإن معظم شعر السجون يدور في فلك الشكوى والعتاب، أو وصف المأساة التي يعانون منها، والحديث عن الذكريات مع المقارنة بين الماضي والحاضر، ثم الشوق إلى أرض الوطن والأهل والأحبة، وتناولوا كذلك الاستعطاف والاسترحام، مذبذبين بين أمل العودة واليأس والهلاك، ثم ما خرجوا به من هذه التجربة المريرة التي شكلت وجدناتهم وغيرت مجرى حياتهم. وقد نتج عن ذلك شكوى الشعراء من الزمان وطوله، أو الدهريات، وشكوى الأهل والأصدقاء، وشكوى الغربة وغيرها من المواضيع التي تحمل المأساة والمعاناة في شعر السجون.

استخدم الشاعران الأساليب والقوالب الخاصة بهما للتعبير عما في ضميرهما من الأفكار والمعاني لإبداء عواطفهما في مواجهة أحداث الحياة خاصة في تلك الأيام والسنوات التي قضياها في الحبس.

مع ذلك الاتفاق في الموضوعات التي اتبعه الشاعران، توجد هناك النقاط الاختلافية المتعددة بينهما، فإن فيض أحمد فيض كان يجد الرجاء والأمل في قلبه أثناء أسره وكان يكرسه في شعره، هذا الرجاء مع العزم يظهر كثيرا في شعر فيض أحمد فيض. وهو يهدد أعداءه ويتصدى لهم ويتحداهم بشعره وبكلامه، فالمقاومة من أهم أجزاء شعر فيض أحمد فيض ولا يوجد ذلك شعر أبي فراس الحمداني.

إظهار الحزن على المظلومين والمقهورين والمحكومين في العالم كله من ميزات شعر فيض أحمد فيض، وهو شاعر ذو إحساس قوي وقلب رحيم، ويترشح ذاك في كلامه، وآلام الإنسانية كانت توقظه وتؤلمه أكثر من آلام نفسه، فهو يقول:

اور بھی دکھ ہیں زمانے میں محبت کے سوا
راحتیں اور بھی ہیں وصل کی راحت کے سوا[22]

ترجمة الأبيات في العربية:

فالحياة ملأى بأحزان غير أحزان العشق
ومباهج غير مباهج الوصال

وشعر فيض أحمد فيض في السجن يدور حول الواقعات التاريخية مع أنه كان مسجونا، وذلك لأن الأخبار عن الوطن وأهله حتى عن العالم كله كانت تأتي إليه متواترة ويؤثر في قلبه كأبناء الوطن الآخرين فيتألم قلبه ويظهر الألم في شعره. وأما أبو فراس الحمداني فكان جاهلا عن أخبار الوطن والعالم وكان في السجن رجلا غافلا عن الواقعات والحوادث التي كانت تصدر في زمانه.

وهذا عن المعنى، وأما في الشكل فشعر أبي فراس الحمداني فهو شعر موزون كلاسيكيي قرضت على الأصول والمباني التي كانت متداولة في ذاك العصر وفيما بعده إلى مدة بعيدة، وأما كلام فيض أحمد فيض فهو يشمل على الشعر المرسل والشعر الحر كما هو دأب الشعراء المتقدمين في عصره وفي عصرنا أيضا. وكذلك لا يتقيد فيض أحمد فيض في كلامه بالقوافي اللازمة بل يجد نفسه محررا من تلك القيود التي التزمها الشاعر أبو فراس الحمداني والآخرون في عصره.

مع براعته في الشعر كان فيض أحمد فيض ممتازا في نثره، ولا نجد ذاك من أبي فراس الحمداني.

وأما عن التأثير والتأثر فإن كان أبو فراس الحمداني هو شاعر متقن في الأدب العربي وله ميزات وخصائص في الفنون الأدبية ولكن فيض أحمد فيض هو من أعظم الشعراء في الأدب الأردي بعد مير تقي مير، وميرزا غالب والعلامة مُحَمَّد إقبال، وهو رائد الحركة التقدمية في ذاك الأدب وكان أكبر شاعر أردي في عصره، وجعله بعض النقاد أكبر شاعر أردوي، وله أثر بالغ في الأدب العالمي، واتفق النقاد على عظمته وأهميته وعبقريته، ولا يتم تاريخ الأدب الأردي بدون فيض أحمد فيض.

الحواشي والهوامش

1. ابن فارس، مقاييس اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1981م. مادة "سجن".
2. الزبيدي، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرزاق المرتضى، تاج العروس، دار الفكر، بيروت،1994م. مادة "سجن".
3. الفيروز آبادي، مُحَمَّد بن يعقوب مجد الدين، القاموس المحيط، دار الكتاب العربي، بيروت،1983م. مادة "سجن".
4. أدباء خلف القضبان – عدد مجلة الهلال (المصرية) منتصف القرن الماضي
5. أبو حاقة، أحمد: أبو فراس الحمداني، دار الشرق الجديد، لبنان، 1960م، ص 166
6. المصدر نفسه، ص 166

7. مروة، مُحَمَّد رضا: أبو فراس الحمداني الشاعر الأمير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، ص 89
8. الحمداني: ديوان أبي فراس الحمداني، الحمداني، ديوان أبي فراس الحمداني، شرح د خليل الدويهي، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، بيروت، 1994م، ص 38–39
9. المصدر نفسه، ص 165
10. بدوي، أحمد، شاعر بني حمدان، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1952م، ص 69
11. المصدر نفسه، ص 208–209
12. البستاني، بطرس، أدباء العرب في الأعصر العباسية، 1940م، ج2 ص 371–372
13. ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط7، مصر: دار المعارف. ص 352–353
14. أمين، أحمد، ظهر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2013م، ج 1 ص 182
15. فاخوري، حنا، تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، 1986م، ص 823
16. فیض اَحمد فیض، نسخہ ہائے وفا، دست تہ سنگ، فیض از فیض، مکتبہ کارواں، لاہور، ص 307
17. فیض اَحمد فیض، نسخہ ہائے وفا، زندان نامہ، مکتبہ کارواں، لاہور، ص260
18. فیض اَحمد فیض، نسخہ ہائے وفا، زندان نامہ، ص260
19. فیض اَحمد فیض، نسخہ ہائے وفا، زندان نامہ، ص 260
20. فیض اَحمد فیض، نسخہ ہائے وفا، زندان نامہ، ص260
21. فیض اَحمد فیض، نسخہ ہائے وفا، زندان نامہ، ص273
22. فیض اَحمد فیض، وصفات الوفاء، مکتبہ کارواں، لاہور، ص 61–62

* * * * * *